كتاب العدد:

النهضة الصناعية والاقتصادية والتجارية في بيروت المحروسة[1] 1840. 1914

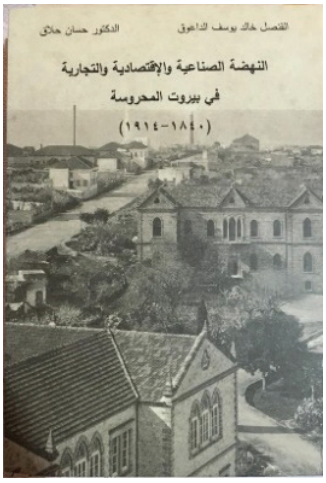

صدر حديثاً كتاب: **النهضة الصناعية والاقتصادية والتجارية في بيروت المحروسة 1840_ 1914** للقنصل خالد الداعوق والمؤرخ الدكتور حسان حلاق.

وفي كلمة للدكتور حسان حلاق قال :

يظن الكثير بأن بيروت المحروسة في العهد العثماني كانت تعتمد اعتمادا أساسياً على الزراعة دون سواها وبعض المهن والحرف المتواضعة فجاء الكتاب المشار إليه ليصحح جوانب مهمة من تاريخ بيروت المحروسة اعتمادا على الوثائق العثمانية ووثائق بلدية بيروت، وسجلات المحكمة الشرعية في بيروت وسجلات آل الداعوق وسجلات آل بيهم ووثائق العلامة محمد جميل بيهم ووثائق مكتبة الجامعة الأميركية وآلاف الوثائق التي تنشر للمرة الأولى والتي تؤكد بأن بيروت المحروسة كانت رائدة في الصناعة والتجارة والاقتصاد، وتكفي الإشارة إلى مصانع عرداتي وداعوق وإلى مدارسهم الصناعية

(1) من اصدارات دار النهضة العربية –بيروت. مقابل جامعة بيروت العربية.

وإلى الإمبراطورية التجارية لآل بيهم وإلى إنشاء مشروع تراموای بيروت بواسطة العجلات من قبل شركة عرداتي وداعوق وذلك قبل إنشاء شركة تراموای بيروت.

وأضاف: بالإضافة الى ذلك، فقد شهدت بيروت المحروسة في العهد العثماني صناعات: الأدوية والمجوهرات والسفن والبارود والأسلحة والحرير والمعادن والصخر والزجاج والألبسة والحديد والذهب والألماس ولقاحات ضد السكري والفحم الحجري ومعامل الورق والمنسوجات والخيوط والأقمشة والملاحات والمعامل البخارية والحديد والحديد الفونت وتصنيع الحروف العربية والأجنبية ومعامل المياه المعدنية والمشروبات الغازية وتصنيع الأفران وتصنيع معدات بناء المساجد والكنائس والقصور والسرايات والبنوك والأبراج والقلاع والمستشفيات ومعداتها ولوازمها والكثير من الصناعات والتجارة التي لا يمكن أن نشير إليها على نحو كلي.

إن هذا الكتاب الذي أعده القنصل الأستاذ خالد الداعوق والدكتور حسان حلاق يعتبر موسوعة علمية بسبب تصحيحه لتاريخ بيروت المحروسة وبسبب حجمه الكبير، فقد بلغ الكتاب 719 صفحة فولسكاب يضم تسعة فصول وآلافاً من الوثائق والصور والمستندات والمراسلات التي تنشر للمرة الأولى.

إن كتاب النهضة الصناعية والاقتصادية والتجارية في بيروت المحروسة سيؤدي الى إعادة كتابة تاريخ بيروت المحروسة وتاريخ لبنان وتاريخ الدولة العثمانية.

قراءة في الكتاب:

من الخطأ الاعتقاد بأن الحكم العثماني في مصر وبلاد الشام كان حكماً متخلفاً وأنه لم يهتم بتطور الزراعة والصناعة والتجارة والتربية والتعليم وطرق المواصلات البرية والبحرية وأنه متهم بأنه لم يكن متفاعلاً مع الحضارات ومن بينها الحضارة الغربية على سبيل المثال، ومنهم من يظن بأن بيروت المحروسة كانت مدينة تهتم بالزراعة والفلاحة دون سواهما.

إن الدراسة التي بين أيدينا «النهضة الصناعية والاقتصادية والتجارية في بيروت المحروسة 1840. 1914» أكدت عدة أمور منها على سبيل المثال لا الحصر:

1_ أن البيارتة كانوا رواداً للصناعة والمهن والحرف الحديثة، بالإضافة الى الصناعات التقليدية، وخصوصا المصانع والمدارس الصناعية التي أقامها رائد النهضة الصناعية منذ القرن التاسع عشر السيد محمد أبو عمر الداعوق ومعه شريكه السيد محمد عرداتي.

2_ لقد أثبتت مصانع عرداتي وداعوق تلبيتها لمتطلبات المجتمع البيروتي واللبناني والعربي والعثماني، وما من منطقة من هذه المناطق إلا وتعاملت مع مصنع عرداتي وداعوق نظراً لأهمية هذه الصناعات التي فصلنا أنواعها وخصائصها وصفاتها في سياق الدراسة.

3_لم يكتف محمد أبو عمر الداعوق بإنشاء مصنع للحديد والفونت وعدة مصانع أخرى لصناعة القرميد والثلج والموبيليا وغيرها، بل أنشأ مدرسة للصنائع لتدريب الفتيان والفتيات والشباب والرجال والنساء من كلّ الملل والطوائف والمذاهب مجاناً وعلى حساب السادات عرداتي وداعوق، وقد خصص لهذا المشروع مبلغا يوازي 9800 ليرة ذهبية إنكليزية. وبواسطة هذه المدرسة الصناعية والمصنع تم تخريج عدد كبير من البيارتة أسهموا في النهضة الصناعية والاقتصادية والتجارية في بيروت المحروسة وفي مختلف المناطق لعقود طويلة من السنين.

4_ لم يكتف محمد أبو عمر الداعوق بإسهاماته في نهضة بيروت الصناعية بل عمل في التجارة ومن بينها تجارة الساعات السويسرية زينيت وتجارة المجوهرات، وكانت شركة داعوق إخوان أيضاً وكلاء

لالات ومعدات بلاكستون التي تعمل على البخار لتدوير المطاحن والنواعير والمعامل وسواها.

5_ بالإضافة الى ذلك، فقد أسهم نجله عمر بك الداعوق بتأسيس نادي بيروت والكازينو العثماني وذلك لتفعيل الحركة الاقتصادية والسياحية في بيروت المحروسة. ومن الأهمية بمكان القول بأن عمر بك الداعوق أصبح في ما بعد من أهم الشخصيات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية في بيروت المحروسة ولبنان، فقد كان رئيساً لبلدية بيروت وكان أول رئيس للحكومة العربية في بيروت ممثلاً للأمير فيصل بن الشريف حسين عام 1918، كما أصبح نائباً في المجلس النيابي اللبناني ورئيساً لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت ومؤسس ورئيس غرفة التجارة والصناعة في بيروت المحروسة وذلك منذ العهد العثماني وشغل العديد من المناصب المهمة الأخرى.

6_ شهدت بيروت المحروسة تأسيس الكثير من المصانع والشركات والمؤسسات في العهد العثماني، والتي أسهمت في تطور بيروت المحروسة وولايات الدولة العثمانية ومن بينها شركة الصناعة والتجارة البيروتية التي تأسست من بعض الوجهاء البيارتة من المسلمين والمسيحيين منهم: سليم علي سلام أبو علي وميخائيل طراد وأحمد مختار بيهم ونسيم مطر وسواهم من المسلمين والمسيحيين.

7_ فكما أن بيروت المحروسة وآل الداعوق توأمان لا ينفصلان فإن بيروت المحروسة وآل بيهم توأمان لا ينفصلان فقد استطاع آل بيهم تأسيس إمبراطورية تجارية واقتصادية في بيروت المحروسة في القرن التاسع عشر قل مثيلها ليس في بيروت وحسب وإنما في جميع ولايات الدولة العثمانية.

إن الدارس في تجارة آل بيهم يتبين له بأن تجار آل بيهم نشطوا في جميع أنواع التجارة مع جميع المناطق اللبنانية وجميع الولايات العثمانية في مصر وبلاد الشام والمغرب العربي والدول الأوروبية والولايات المتحدة الاميركية وروسيا والهند، وتطورت تجارة آل بيهم الغنية بأنواعها وأصنافها مع التجار الفرنسيين والبريطانيين والإيطاليين والنمساويين والأمريكيين والروس وسواهم.

ومن الأهمية بمكان القول بأن آل بيهم كانوا رواد التجارة في بيروت المحروسة كما كان آل الداعوق رواد الصناعة. وبكلمة موجزة فقد استطاع آل بيهم أن يؤسسوا إمبراطورية تجارية انطلقت من بيروت المحروسة الى أرجاء العالم مما أسهم إسهاماً مهماً للغاية في تطوير الأوضاع الاقتصادية في بيروت المحروسة ومختلف الولايات والمدن العثمانية.

8_ لقد شهدت بيروت المحروسة ملامح ومظاهر اقتصادية وصناعية وتجارية عديدة في مقدمتها: مرفأ بيروت ومنارة بيروت المحروسة وخطوط السكك الحديدية ومواصلات داخلية وخارجية والترامواي، ومنها ما أنشأه محمد أبو عمر الداعوق ومحمد عرداتي ونعني مشروع العجلات العمومية من أجل نقل الركاب من المدينة الى رأس بيروت، وقد ساهمت جميع وسائل النقل هذه في تطور تلك المنطقة، هذا بالإضافة الى معمل عرداتي وداعوق الذي ساهم أيضاً باستقطاب السكان الى المنطقة، وقد أسهمت جميعها في تطور التجارة فضلاً عن الخانات والفنادق والتلغراف والبريد والمصارف والأسواق المتخصصة والعامة بالاضافة الى استحداث الكهرباء في العهد العثماني مما أسهم أيضاً بتطور قطاع الصناعة والتجارة والاقتصاد عامة وشهدت بيروت المحروسة بناء القيساريات والمطابع والمدارس والجامعات مع المهندسين والمدرسين والأساتذة.

9_ من الأهمية بمكان القول بأن الدولة العثمانية أسهمت في تشجيع الصناعة والتجارة لأن ذلك لا يفيد البيارتة فحسب بل ذلك يضاعف من مداخيلها السنوية بسبب الضرائب على البضائع المستوردة أو المصدرة. ومما شجع على النهضة الصناعية والتجارية والاقتصادية في بيروت المحروسة توافر عدة عوامل منها: بلدية بيروت، الدوائر الحكومية العثمانية، محكمة التجارة، غرفة التجارة والصناعة

والزراعة، البنك الزراعي، الجمارك، المحامون، المحاكم، تجارة القومسيون، تجار البضائع الأجنبية، تجار المانيفاتورة، الصناعة والتجارة الداخلية والخارجية، شركات البواخر المحلية والأجنبية، شركات التأمين العثمانية والأجنبية، المستشفيات، الأطباء، الصيادلة، والعشرات من العوامل التي أسهمت في تطور ونهضة بيروت المحروسة واستقرارها خاصة الاستقرار الأمني لوجود سلطات أمنية عثمانية صارمة وعادلة.

10_ إن من يطلع على الكتاب الذي بين أيدينا وموضوعاته ووثائقه ومستنداته يدرك تماماً بأن البيارتة حرصوا على النهوض بمدينتهم بيروت المحروسة، فقد عرفت المحروسة مئات من المصانع الحديثة في العهد العثماني في مقدمتها صناعة الأدوية والمجوهرات والسفن والبارود والأسلحة وبناء أرقى القصور والدور والمساجد والكنائس والمدارس والجامعات والسرايات والمستشفيات مما يؤكد وجود مهندسين بيارتة من الطراز الأول ويؤكد وجود نهضة صناعية واقتصادية وتجارية ليست أقل من الصناعات الأوروبية.

كما شهدت بيروت المحروسة إنشاء معامل للحرير والمعادن والصخر والزجاج والألبسة والحديد والذهب ومصانع الثلج والمياه الغازية وتأسيس دار المعلمات وإنشاء المسلخ ولقاحات ضد السكري وبناء الخسته خانه المستشفى وصناعة الحلويات الشرقية والإفرنجية والمياه المعدنية وتصنيع الحروف العربية والأجنبية والفحم الحجري ومعامل الورق والمنسوجات والخيوط والقماش والملاحات ومعامل الأفران وشق الطرقات الجديدة وتأسيس المعامل العاملة بطاقة البخار وسواها الكثير من المصانع والمعامل التي كانت تنشأ تلبية لمتطلبات الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والصناعية ...

11_ لقد اعتمدنا على مصادر ومراجع ووثائق أساسية لإنجاز الدراسة يأتي في مقدمتها آلاف من وثائق أرشيف استانبول العثماني ووثائق آل الداعوق بهمة أحدنا سعادة القنصل الأستاذ خالد يوسف الداعوق ووثائق وسجلات المحكمة الشرعية في بيروت ووثائق ومحاضر جلسات بلدية بيروت في العهد العثماني ووثائق آل بيهم بهمة أحدنا المؤرخ الدكتور حسان حلاق فضلاً عن مصادر ومراجع ووثائق ومستندات عثمانية وعربية وأجنبية مهمة للغاية، مما أدى الى إغناء الكتاب وإثرائه بمعلومات مهمة تنشر للمرة الأولى، الأمر الذي سيؤدي الى تصحيح تاريخ بيروت المحروسة وإسهامات البيارتة منذ العهد العثماني الى اليوم.

12_ للمؤلفين خالد الداعوق وحسان حلاق وطيد الأمل بأن يلقى الكتاب القبول والترحيب من القراء البيارتة واللبنانيين والعرب لا سيما وأننا جهدنا لإنجاز دراسة تاريخية عن بيروت المحروسة يتم التركيز فيها هذه المرة على النهضة الصناعية والاقتصادية والتجارية دون سواها من القضايا السياسية أو العسكرية أو الاجتماعية أو التربوية أو التراثية التي سبق أن صدر عن موضوعاتها الكثير من الكتب والبحوث الدراسية.

13_ إن القنصل الأستاذ خالد الداعوق قد طلب من وزارة الثقافة في لبنان أن تصدر قراراً بتحويل بناء تراثي في شارع بلس في رأس بيروت كان جزءاً من معمل عرداتي وداعوق في القرن التاسع عشر وهو من أملاكه الخاصة ليكون في عداد الأبنية التراثية البيروتية وأن يكون في عداد الإرث الثقافي اللبناني، وهو بذلك يخالف غالبية اللبنانيين الذين يملكون بيوتاً تراثية إذ يقومون بالوسائط السياسية اللازمة لإلغاء القرارات الصادرة عن وزارة الثقافة المتضمنة إعلان بيوتهم من جملة التراث البيروتي واللبناني!!!

إن الأستاذ خالد الداعوق يرغب من خلال إصدار ذلك القرار تحويل هذا المنزل التراثي الى مركز بيروت المحروسة للدراسات والبحوث الخاصة بتراث بيروت وتاريخها، وإعداد وإصدار البحوث الخاصة بكل ما يتعلق بالتراث البيروتي العريق.

14_ نأمل أن يكون هذا التعاون المثمر والبناء الأول تعاوناً مستمراً بيننا لإصدار بعض الدراسات التاريخية الموثقة توثيقاً علمياً عن بيروت المحروسة في المستقبل القريب لما فيه من إحياء الذاكرة التاريخية البيروتية ولما فيه من تصحيحٍ للتاريخ البيروتي ولما فيه من الخير للبيارتة ولبيروت المحروسة.

هذا الكتاب من إصدارات وتوزيع دار

النهضة العربية. بيروت. مقابل جامعة بيروت العربية